

اضطر إلى ذكر أوصاف محددة تقوم عليها شعرية النص لجأ إلى الحصاد الاصطلاحي القديم فأعاد عناصر عمود الشعر ، وذكر أن القوام الفني لشعر المتنبي عنده يتمثل في « جزالة اللفظ ورسائنته ، وصحة المعنى واستقامته واعتدال الأسلوب وحسن انسجامه ، إلا أبياتا يضطرب فيها الشاعر هنا وهناك في اللفظ وحده ، أو في المعنى وحده ، أو في اللفظ والمعنى جميعاً » . وكان بوسع طه حسين أن يفيد من « بول فاليري » الذي قرأه وعرفه في هذه الآونة ، وقدم لكتابه عن المعرى باقتطاع صفحة من حديثه الشيق عن الرسام «ديجاس » لأنها تكاد تصف له شخصية أبي العلاء ، لا فنه أو مذهبه . كان طه حسين مشغولاً جداً بأشخاص الأدباء ، فلم يستطع أن يلتقط من المادة النقدية الميثوثة حوله بعض إنجازاتها في تحليل النصوص بشيء أبعد من نثر معانيها والتعجب من نجاحها أو إخفاقها في أدائها ، بل يبدو أن هذه الخطوة كان من الضروري موضوعياً أن يمضى نصف قرن آخر من الزمان حتى يمكن للنقد العربي أن يقوم بها بكفاءة ملائمة لإيقاع سياق النقد العالمي فيفيد مثلاً من المعطيات اللغوية والشعرية الحديثة في الربط بين هذا الطباق ومبدأ التوازي الذي يوليه " جاكو بسون " أهمية قصوى فيرى " أن بنية الشعر تعتمد على مبدأ التوازي ، لأن هناك نسقاً من التناسبات المستمرة على مستويات متعددة : في مستوى تنظيم وترتيب البنى التركيبية ، وفي مستوى تنظيم وتركيب الأشكال والمقولات النحوية . وهذا النسق يكسب الأبيات المترابطة بواسطة التوازي انسجاماً واضحاً وتنوعاً كبيراً في الآن ذاته . إنه القالب الكامل الذي يكشف بوضوح الأشكال والدلالات الصوتية والنحوية والمعجمية » (٢٦).

١ - ٣ من أبرج المشاهد التي يستطيع طه حسين فيها أن يصل إلى درجة عالية من التواصل العميق مع النصوص ما يحيل التماهي عنده إلى متكاً للتأويل الحصب ، يطرح فيه موقف المحلل المحدود ، المحكوم بحرفية القول ، ليفتح أفقاً جديداً من التفسير المتعدد للدلالات ، كما يفعل مثلاً في فرضه المثير لترميز المتنبي عن حياته كلها وحياة المسلمين من حوله في صراعهم العقيم ضد الروم وهو يتغزل بصاحبته قائلاً :

لياليّ بعهد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل
يُبين لي البدر الذي لا أريده ويخفين بدرا ما إليه سبيل